الطفولة الجزائرية والعولمة :

أي دور للتربية ما قبل التمدرس في تحقيق الصحة النفسية كمطلب من متطلبات العيش في عصر العولمة ؟

د. عبد العزيز حدار

أستاذ محاضر

جامعة سعد دحلب البليدة

ملخص

يهدف هذا المقال إلى تبيان ما تطرحه العولمة من رهانات وتحديات على الفرد الجزائري، وهي المتطلبات التي تستدعي ما يمكن تسميته بالكفاءة الشخصية الكلية التي تتضمن الكفاءة المعرفية القصوى، والانتمائية القيمية ،والصحة النفسية . ويركز المقال في هذا السياق على تنمية الصحة النفسية التي يتوجب إدراجها في مناهج و برامج المنظومة التربوية، وتحديدا في التربية ما قبل التمدرس في المقام الأول . وأخيرا يقترح المقال جملة من الأبعاد النفسية والكفاءات الانفعالية التي يمكن أن يدرب عليها الاطفال في سن مبكرة عبر برامج إنمائية ، تساعد هم على اكتساب التعلمات الانفعالية الأولية للوصول إلى مرحلة الرشد وهم يتمتعون بالاقتدار النفسي والمعرفي والمناعة القيمية حيث يمكنهم اقتحام العولمة والتعامل الإيجابي الفاعل مع قيمها ومتطلباتها

الكلمات المفتاحية : العولمة ، التربية ما قبل المدرسية، الطفولة الجزائرية ، الصحة النفسية

تمهيد

لقد أضحت الصحة النفسية مطلبا ضروريا من متطلبات العيش في عصر العولمة، فقد فرضت هذه الكونية الجديدة تغيرات اقتصادية مالية مهنية اجتماعية وثقافية تشكل في مجموعها مقتضيات وتحديات وشروط يتوجب على الفرد الجزائري التجاوب معها بمستوى عال من الكفاءات المعرفية والانفعالية والاجتماعية

والمهنية، أو الكفاءة الشخصية الكلية التي تقوم بالأساس على الصحة النفسية، بما تتضمن من فعالية ذاتية ، و قدرة على تحمل وإدارة الضغوط، وصلابة ومرونة نفسية ،و قدرة تكيفية تلاؤومية فائقة والثقة في الذات وروح المبادرة والريادية. وعليه تفرض العولمة على التربية عامة والتربية ما قبل المدرسية إعادة النظر في مناهجها وبرامجها بما يتناسب و متطلبات هذه الكونية خاصة فيما تعلق بالصحة النفسية التي من الأجدر إرساء قواعدها الأولية لدى الطفولة المبكرة في النسق الأسري و مؤسسات التربية ما قبل المدرسية.

1 – العولمة ومتطلباتها وقيمها:

يرى (Robertson.2002) في العولمة انضغاط العالم في مكان واحد...وهي التفاعل المتزايد بين الطبقات المكونة للحياة الإنسانية. و العولمة من حيث التعريف هي تحول و صيرورة العالم واحدا ، حيث أن ما يقع و يجري في مكان ما في العالم تمتد تداعياته على كل سكان المعمورة وتتصف العولمة بالعديد من الخصائص والصفات، منها ما يسميها (Beaud,2000) بظاهرتي التسارع ، وانعدام التأكد. و يضيف (توملينسون 2008) صفة المرتبطية المعقدة (complex connectivity)، كما تتميز أيضا بما يعرف بإيديولوجية النجاح المادي الفردي أو الفردانية، و ثقافة الاستهلاك ، و ثقافة الصورة وتوجيه الإدراك.

أ- التغير المستمر والمتسارع : يعرف العالم وتيرة سريعة من التغيرات منذ بداية الثمانينات ، إذ لم يعد بمقدور رجال الاقتصاد و السياسة والاستراتيجية والمفكرين التنبؤ بالأحداث في المستقبل القريب ، كل شيء بات يتقادم بسرعة ، النظريات النفسية والتربوية، الأساليب التربوية ، استراتيجيات التعلم ، الاستراتيجيات العلاجية ، طرق اللباس والمأكل ، التكنولوجية ، لقد أضحى التسارع السمة الأبرز للعولمة ، فهناك تسارع في الابتكارات ، تسارع في نمو المعارف والمعلومات ، تسارع في فرص التواصل والاتصالات ، تسارع في الانفتاح ، تسارع في النمو الديموغرافي ، تسارع التغير في أنماط العمل وظهور تخصصات جديدة، وتسارع حتى في الزمن ... إلخ

ب – انعدام الضمان والاستقرار : إن حالة التسارع أو التغير المستمر المتسارع هو الذي خلق هذه الصفة ، إذ حالة الشك وغياب الضمان تلقي بضلالها على كل شيء ، فليس هناك وظائف مضمونة ، وعمل مستقر واختصاص ومسار مهني منتظم ، وليس هناك إمكانيات للتخطيط المستقبلي المضبوط ، فالقاعدة هو التغير والتحول السريع ، بل التحولات في فرص العمل ومتطلباته

ج – **المرتبطية المعقدة** : تشير إلى تلك الشبكة سريعة التطور ومتزايدة الكثافة دوما من الترابطات ، و العلاقات المتبادلة التي أفرزتها العولمة في الحياة الاجتماعية الحديثة ، ويصف ما غرو (Mc Grew.1992) هذا المرتبطية على أنها تقوية لأواصر الترابط العالمي من خلال ما تطرحه من تعدد الروابط ،حيث نجد في الوقت الراهن أن السلع ، و رأس المال ، و البشر ، والمعرفة ، و الصور ، والجريمة ، والملوثات ، والمخدرات ، و الأزياء ، و المعتقدات تتدفق كلها بسهولة عبر الحدود الإقليمية. وإن الشبكات ، و الحركات ، و والعلاقات الاجتماعية العالمية واسعة الانتشار في كل المجالات تقريبا، من الأكاديمية إلى الجنس .

د – إيديولوجية النجاح المادي الفردي

تتصف العولمة على أيضا على مبدأ الفردانية والنجاح المادي الفردي حيث تقدر قيمة الإنسان بما يكسبه ، و برصيده المالي، ويمثل النجاح المادي قيمة وجودية أساسية، تدفع بالكثير إلى التخلي عن قيمهم وانتماءاتهم ، و هويتهم مقابل تحقيق هذا النجاح المادي. فليس هناك إشباع غير إشباع المادي المالي ، فالفرد الذي لا يحقق ذلك، يحكم على نفسه بالفشل في الحياة. ما يجعل الفشل في تحقيق هذه الطموحات أمر لا يحتمل يفضي إلى الكثير من الاضطرابات النفسية على رأسها الاكتئاب. ويرى بعض الاخصائيين في الصحة النفسية أن الاكتئاب وباء غير مسبوق بين شباب الولايات المتحدة والغرب عموما، ممن ينخرطون في هوس الإثراء المادي كقيمة حياتية. إن الوجود بالنسبة لهذه القيمة، هو الثراء والنجاح المادي، والسعي لتحقيق ذلك يستنزف الطاقات ، ويتنهك القيم الإنسانية ، ويدفع بصاحبه إلى حالة الاحتراق النفسي، وإغراءات الفساد والجريمة بجميع أشكالها ، خاصة ما يسمى حاليا بجريمة الياقات البيضاء التي انتشرت بشكل رهيب ليس فقط في المؤسسات الغربية، وإنما كذلك في مؤسساتنا الوطنية،على شكل اختلاس ونهب للأموال وغيرها من أشكال الجريمة الاقتصادية. وهي انعكاس إلى ما ذهب إليه (Schoepfer et Piquero.2006) على أن الحث الملح على النجاح المادي الذي يشكل حجره الاساسي النجاح المالي، يعتبر أحد العوامل المسببة لإجرام ذوي الياقات البيضاء.

كما تدفع هذه الإيديولوجية الفرد إلى الانسلاخ من قيمه و هويته وانتمائه، ما قد يؤدي إلى ما يعرف بالخيانة العظمى في الحالات القصوى.

هـ – ثقافة الاستهلاك واستهلاك الثقافة :

تقوم العولمة على مبدأ اللاستهلاك على اعتبار أن الاستهلاك هو القوة المحركة للنمو الاقتصادي، كما تقوم ثقافة الاستهلاك على مبدأ المتعية الراهنة وتحقيق اللذة الآنية، وما يرتبط بذلك من محاولة الانغماس في الرفاهية المفرطة كأسلوب حياة، ما يفضي إلى نوع من الكسل و البحث عن الربح السريع دون الجهد. إن هذه الحالة تجعل من الحياة مجرد البحث عن إشباع للحاجات الأولية من غذاء وملذات آنية. والتعود على هذا النمط من الحياة، يفقد هذه الأخيرة متعتها وتدخل صاحبها في الرتابة والملل و الخواء النفسي والسطحية في مقابل القيم الذاتية الأصيلة من إنجاز، وإبداع ، وإنتاج ، وعطاء ، و التزام ، ومشاركة ، وتعاون على الخير.

و الأ دهى والأخطرأن حتى الثقافة تحولت إلى مادة مستهلكة سطحية هزيلة ويشير إلى ذلك (عبد الإله بلقزيز1998) على أن ثقافة العولمة تشبه سائر مواد الاستهلاك، معلبات ثقافية تتضمن مواد مسلوقة جاهزة للاستهلاك، وشركات إعلامية تتنافس لتقديم سلعتها إلى المستهلك في إخراج مثير يضعه تحت وطأة إغراء لا يقاوم، فلا وقت للتفكير والتمحيص والتردد النقدي، وسائر ما يمكن أن يحمي الوعي في السقوط في إغراء الخداع، إذ تنهار ملكة التحوط، ويتحول الوعي إلى مجال مستباح لكل أنواع الاختراقات، ثم تتكفل التكنولوجية بهندسة ذلك الإغراء وصناعة اسباب الجاذبية،ناهيك عن التفتت الذي سيصيب نظام القيمن فيكرس منظومة جديدة من المعايير ترفع من قيمة النفعية ، والفردانية ، و الأنانية، والمنزع المادي – الغريزي، المجرد من كل محتوى إنساني.

و – ثقافة الصورة وتوجيه الإدراك

يعد الإعلام خاصة السمعي البصري سمة أساسية لعصر العولمة، وقد أصبح يشكل سلطة أساسية حقيقية، وليست رابعة في الترتيب الكلاسيكي بفعل الانفجار الإعلامي وتكنولوجيات الإتصال، لذلك أضحت القنوات التلفزيونية الفضائية هي الموجه للرأي العام المحلي والدولي، وهي تدير ما اصبح يعرف بمفهوم " إدارة الإدراك " الذي يوجه ويضلل عملية الإدراك للأحداث والوقائع و السياسات والإيديولوجيات والمعارف والقيم، خدمة لمصالح من يمتلكون هذه الوسائل. إنه تلاعب ناعم ،وقمع غير مباشر يمارس على المشاهدين تلعب فيه الصورة دورا رئيسا. لكن ينبغي الإقرار أن عولمة الإعلام اوجدت نوع من التدافع

الإعلامي بتعدد مصادره ، فلم تعد هناك أحادية الطرح ،ما أمكن في ذات الوقت من الإتاحة الفرصة للمشاهدين أن يتعرفوا على الأخبار المتناقضة ، ويكتشفوا المضلل منها. إن هذه الحالة المستجدة لتستدعي ضرورة اكتساب القدرة على التفكير الناقد الذي يسمح بالفحص والتقييم الموضوعيين لما يعرض على الشاشات من أخبار ، وصور ، وإعلانات مكثفة، وبرامج تسوق بتقنيات نفسية مؤثرة، وحتى لا يترك لثقافة الصورة فرصة أن توجه الإدراك ، وتصنع الحاجات والأذواق ، وتبلور القيم ومعايير، وتحدد الاختيارات ، وتبني المواقف والسلوك .

وبالمختصر المفيد أن وسائل الإعلام الدولية الغربية وتوابعها في دول الأطراف تسعى لتجسيد " الامبريالية الثقافية الجديدة" عبر الصورة والخبر، و يؤكد كل من (Herman and McChesney.1997) هذا التوجه : " إن الغزو الحاسم للأنظمة الإعلامية العابرة للقوميات هو تطبيق عملي للنموذج.. وهذا الغزو يحدد النهج الذي سيتبع، كما أنه يجتذب الدولة موضع النقاش إلى فلك مصالح القوى المهيمنة، وهذا هو الشكل الإمبريالي الجديد الذي حل محل الطرق الاستعمارية الأكثر ابتذالا، وفظاظة ، و قدما.

وبالإضافة إلى هذه الخصائص التي تتميز بها العولمة ، فإن العالم الغربي الذي يتماهى مع العولمة يحمل خصائص أخرى يصفها (Enriquez.2008) بالمخاطر وهي :

أ – تنامي المخاطر في العالم حيث تعددت مصادره، مخاطر طبيعية، أو طبيعية ناتجة عن السلوك البشري (الاحتباس الحراري ، التلوث، الزلازل ، الغذاء المشبوه...) والمخاطر اليومية من (حوادث المرور، الإدمان، الحرائق)، مخاطر تتعلق بغياب ضبط العلاقة بالآخر (الظلم والقمع، الجريمة بجميع أشكالها، عنف دون أسباب، اعتداءات جنسية وتحرش، إلخ)

ب – تنامي مشاعر اللاتسامح : يتميز المجتمع الحداثي بتنامي مشاعر اللاتسامح إزاء الأفراد الذين لا يمتثلون للمعايير السائدة، أو التقييس المحدد.(عنصرية ، نبذ ...)

ج – طغيان الاقتصاد والمال : لقد تم الانتقال من عالم المواطن إلى عالم الافراد المنتجين للثروات، والأشياء الجديدة ، ثم مؤخرا إلى عالم المستهلك بكثافة الذي اعتبر كمحرك أساسي للنمو الاقتصادي. كما أعطيت الأهمية لاكتساب أكبر قدر ممكن من المال ليتم استهلاكه ، ليس بفعل الإنتاج، لكن عن طريقة المضاربات المالية في البورصات، وبالتالي فقد العمل قيمته ووظيفته الإدماجية

د – الإفلاس المعمم للقيم : يسجل إفلاس معم في كل القيم، والمبادئ، والعناصر الأساسية التي سمحت للمجتمع الغربي أن يفرض سيادته على الآخرين ، وأن يطرح نفسه كنموذج، وأن ينتشر، و أن يتوغل في الوعي واللاوعي.

ومن جانب آخر، تحمل العولمة في جانبها الاجتماعي نموذج الأسرة الغربية العصرية التي يصفها (lazatigues.2001) بالملاحظات التالية : ميل نحو تعادلية علاقة (الوالدين – الأطفال) ، تحول الأداء الأسري القائم على مبدأ السلطة إلى مبدأ الإجماع ، ومن مبدأ الواجب إلى مبدأ المتعية، و طغيان الاستثمار في الراهن،معاناة الأطفال من سلوك مرضي ، وعدم القدرة على تحمل الإحباط ، واستحالة تحمل الانتظار أو المهل ، وضعف الاستثمار الكلامي ، والتفكير الإجرائي ، ونهم شديد للأحاسيس و المتع ، وتوجه جنسي غير مقبول اجتماعيا ، و غياب المعرفة بقواعد التمدن ، و تقدير ذات هش ، و ضعف استدماج القيم ، و أنا أعلى غير صارم، وغياب شبه كلي للشعور بالذنب ، و قدرات جد محدودة للتسامي ، و نشاط خيالي ضحل يدل على شخصية تابعة قاعدية ذات بعد اكتئابي ، و تبعية شديدة إزاء الوسط المادي والبشري، وشخصية نرجسية منحرفة قاعدية .

هذا ولما كانت العولمة لا تقتصر على الاجتماع والاقتصاد والمال والاتصال والسياسة بل تعدته إلى الجانب الثقافي ، وما تحمله العولمة الثقافية من محاولة هيمنة الثقافة الغربية على باقي الثقافات والمجتمعات، حيث يعطي (Waters.1995) أهمية قصوى للجانب الثقافي في العولمة على اعتبار أن : " التبادلات المادية تجعل الأمر محليا، والتبادلات السياسية تدوله، والتبادلات الرمزية (الثقافية) تعولمه، ويترتب على ذلك عولمة المجتمع الإنساني تتوقف على مدى فعالية العلاقات الثقافية بالنسبة للترتيبات الاقتصادية والسياسية " .

لهذه الأسباب وتلك ، تعرضت العولمة للعديد من انتقادات حيث اعتبرت فلسفة تركيبية اختزالية واندماجية، تحاول أن تجعل العالم المتنوع والمتعدد والمتناقض في هوياته وثقافاته و قومياته ، ولغاته و دياناته وجغرافياته، إطارا في قالب واحد. وهي التوظيف الايديولوجي والعاقائدي الصامت، الذي يخفي معه ايديولجيته لثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات وتقنيات الإعلام المتطورة، التي ربطت الكون بشبكات جعلت منه أشبه بقرية صغيرة (زكي ميلاد،1999) لذلك يرى فيها محمد عابد الجابري (1998) محاولة

من محاولات السيطرة المحينة حيث يشير أن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي أيضا، وبالدرجة الأولى ايديولوجيا تحمل إرادة الهيمنة على العالم.

و ينتقد الفيلسوف جون غراي (Gray.1997) هو الآخر العولمة حيث يعتبرها الشكل المنحرف والرجعي للحداثة، وهو على وجه التقريب ذلك الخاص بالنزعة الفردية الاقتصادية التي سادت انجلترا خلال القرن 19 ، ونظيرتها الامريكية خلال القرن20، والذي انتشر في كل أرجاء العالم، كما يعتبر النزعة الكونية هي أحد الجوانب الأقل نفعا والأكثر خطورة في الحقيقة للتقليد الفكري الغربي، ذلك الإيمان الميتافيزيقي بأن القيم الغربية المحلية تعد جديرة بالاعتماد والقبول من قبل كل الثقافات والشعوب.

وفي خضم ذلك تعمل ثقافة العولمة على تنميط الكون وفق قيم معينة من خلال الإعلام والمعلومات و أسواق المال، وانهيار الحدود الوطنية، وفتح الاقتصاديات على قوانين هذه الأسواق المالية، وكذلك تنميط الأذواق والسلوكيات. ما يطرح عدة تحديات وجودية على المجتمعات والثقافات الأخرى، يتعدى الجانب التنافسي الإقتصادي، ويلخص (ممدوح محمود منصور . 2003) هذه القيم في ما يلي :

– الفردانية : إقناع الفرد بأن حقيقة وجوده محصورة في فرديته وأن كل ما عداه لا يعنيه وذلك بهدف تحطيم الرابطة الجماعية تمهيدا لإلغاء الهوية القومية بحيث يبقى فقط الإطار العالمي

– الخيار الشخصي : يرتبط بالنزعة الفردية حيث يتم تكريس الأنانية لدى الأفراد تحت سيطرة وهم حرية الاختيار والحرية الشخصية، وبالتالي القضاء على فكرة الوعي الاجتماعي والولاء، وطمس الروح الجماعية باسم الحرية .

– الحياد : كل الأفراد والأشياء المحيطة بالإنسان تتسم بالحياد ، مما يؤدي إلى غلبة قيم اللامبالاة ، وبالتالي تكريس التحلل من كافة الالتزامات القيمية، أو الأدبية ، أو الأخلاقية ، أو الارتباط بأي مبدأ أو قضية .

– الاعتقاد في الطبيعة البشرية غير المتغيرة : ومعناه النظر إلى الفوارق الاجتماعية بوصفها أمور طبيعية لا يمكن أن تتغير بحيث ينظر الفرد إلى الفوارق بين الأغنياء و الفقراء ، وبين المستغلين وضحاياهم، على أنها أمور عادية أو تناقضات حتمية طبيعية كالليل والنهار، بهدف تكريس النزعة السلبية وشل روح المقاومة وبث روح الاستسلام، مما يحبط أي محاولة لتغيير الواقع

– الاعتقاد في غياب الصراع الاجتماعي : وهو ما يمثل تتويجا للقيم السابقة وذلك باعتبار أن التسليم بغياب الصراع الاجتماعي معناه إشاعة مناخ الاستسلام للجهات المستغلة و للقوى المهيمنة بغرض التمكين لعملية الاستتباع الحضاري والثقافي ، بحيث ينتهي الأمر بالأفراد إلى الخضوع للهيمنة على طيب خاطر، وهو ما يمثل الغاية العليا للعولمة كعملية تستهدف السيطرة والهيمنة الاستعمارية

وبناء على ما سبق بيانه عن العولمة ومتطلباتها وقيمها، تطرح على المنظومة التربوية جملة من التحديات في إعداد الناشئة لخوض زمن العولمة بكثير من مؤهلات المعرفية والفكرية والنفسية والمناعة الانتمائية القيمية .

2 – التداعيات النفسية لعصر العولمة :

طرحت العولمة شكلا جديدا من أشكال الحياة جد مغاير عما ألفناه ضمن المجتمع الراكد المغلق المحمي المؤطر، حيث أساليب حياة تقليدية نمطية هادئة مستقرة، فخصائص العولمة من التسارع وانعدام اليقين والتنافسية، والمرتبطية المعقدة وانضغاط المكان والزمان، والنزعة الاستهلاكية ومبدأ المتعية ، وثقافة النجاح الفردي ، وثقافة الصور، يحتم على الأفراد أن يخوضوا في المستقبل المنظور معركة الوجود و إثبات الذات باستعمال كامل مواردهم ، على رأسها الصحة النفسية التي لم تعد مجرد الخلو من الاضطرابات النفسية، بل كما جاء في تعريف المنظمة العالمية للصحة : " أنها حسن الحال االبدني و النفسي والاجتماعي التام الذي لا يتضمن فقط الخلو من الأمراض و الإعاقة "

(in Suchocka,; Kovess-Masefty 2006)

إن خصائص العولمة أفرزت زيادة مطرد لمستويات الضغوط وحالات القلق فبسبب حالة من التسارع وانعدام اليقين، و بروز ما يسمى بأنماط العمل التعاقدية، ما جعل الوظيفة غير مستقرة، وبمتطلبات عالية، تضاعفت الضغوط المرتبطة بعالم الشغل

كما أن التعليم والتكوين في زمن العولمة لا يستند غلى استراتجيات التعليم الكلاسيكية القائمة على الاستذكار وحشو المعارف والمعلومات، أو ما يسمى بالتعليم البنكي أو التبعية التعلمية، بل يستند إلى استراتيجيات تشجع التفكير الناقد ، والتفكير التحليلي والتوليفي، والإبداع، وحل المشكلات ، واتخاذ القرار، والجهد الشخصي والاستثارة القصوى للقدرات المعرفية وما وراء المعرفية للمتعلم، وهو الأمر الذي

يتطلب دون شك درجة عالية من صلابة الشخصية واستقلاليتها ، وقدرتها على التحفيز الذاتي ،وأخذ القرار والمبادرة. بالتالي فإن هذا النوع من التعليم في زمن العولمة يتطلب لياقة نفسية عالية ، أو كفاءة شخصية كلية.

و هكذا يفرض عصر العولمة على الفرد أن يتزود بالكفاءة المعرفية القصوى، والصحة النفسية في أعلى مستوياتها من صلابة الشخصية ومرونتها في آن واحد، وقدرتها على التعامل مع مقتضيات هذه الكونية و خصائصها ، مدعومة بمناعة أخلاقية قيمية. وكل هذه المتطلبات تتآ لف في الجدارة المهنية العالية، القائمة على ما يفرضه قانون القوة و ثقافة الإنجاز ومبادئ الإتقان والتنافسية، والبقاء للأصلح و الأفيد المسير لعالم العولمة . وبالمحصلة يتطلب العيش في زمن العولمة متطلب الكفاءة الكلية للشخصية ، وهو الأمر الذي يتجاوز المفهوم التقليدي للصحة النفسية من حيث الخلو من الأعراض المرضية، والحالات السوية العادية ، بل يتعدى إلى ذلك إلى تحقيق أعلى درجات مقومات الصحة النفسية من تقدير الذات و الفعالية الذاتية والتوافق النفسي الاجتماعي العالمي والتواصل ، و رسوخ الهوية وغيرها من المقومات والمكونات والأركان .

3 – متطلبات الصحة النفسية في عصر العولمة :

يذهب (مصطفى حجازي 2004) أنه لم تكن الصحة النفسية على نفس القدر من الأهمية والإلحاح كما هو الحال راهنا. وفي المستقبل الذي يعرف تحولات كونية متسارعة، ويحمل تحديات وفرص غير مسبوقة، تفرض الحاجة إلى تجاوز مجرد الخلو من الاضطراب ، وصولا على التمتع بأعلى قدر من المناعة النفسية والقدرة على النماء والتوظيف الأقصى للطاقات الحيوية. ولتحقيق هذه الصحة النفسية المنشودة ، حدد الاخصائيون النفسانيون سجل مكونات الصحة النفسية من العناصر التالية:

أ – المكون البنيوي : قبول الذات والوفاق معها، التوافق مع النزعات النفسية المتعارضة والمتصارعة، الطمأنينة القاعدية والثقة بالنفس ، وما ينتج عنها من قدرة على تحمل الإحباطات والقلق، والمرونة النفسية والانفتاح على الدنيا والناس

ب – المكون الوظيفي : يتضمن القدرة على الاستغلال الأمثل للطاقات الحية، والنشاط الأفضل لمختلف وظائف العمل والحب والترويح

ج – **المكون الانتمائي** : يتمثل في القدرة على التفاعل والتواصل والمشاركة الفاعلة، وروح الجماعة والقيادة، والعلاقات المتكافئة، والانتماء و رسوخ الهوية الوطنية والثقافية الحضارية

د – المكون النمائي : يتمثل في القدرة على الاستفادة من الإمكانات والفرص، وتحقيق النماء للكيان الذاتي، والمشروع الوجودي.

و تتحقق الصحة النفسية بتفاعل و تكامل المكونات الأربعة وهو ما يفضي إلى الكفاءة الشخصية الكلية القصوى، فالعولمة تفرض على الافراد مستوى عال من التوازن النفسي والأداء المعرفي الانفعالي والعملي الأقصى، وبالتالي تم الانتقال من مجرد البحث عن تحقيق درجة من التكيف أو التوافق النفسي الاجتماعي في ظل المجتمع المغلق الراكد حيث الحياة المحمية والمضمونة ،إلى مستوى آخر يمكن تسميته بالكفاءة الكلية للشخصية الكوزموبولوتية، أي تلك الشخصية المتوازنة ذات الأداء العالي في تفاعلها الكوني .ما يتطلب التوجه نحو البراديجمات الحديثة في الصحة النفسية وعلم النفس العيادي ، المتمثلة في إعطاء الأولوية للمنهج النمائي والوقائي قبل المنهج العلاجي، بمعنى آخر التوجه نحو ما يسمى حاليا بعلم النفس الإيجابي حيث يسعى هذا الأخير إلى تمكين الفرد من إنماء قدراته وإمكاناته، وبناء أفضل الصفات في الحياة ، بدلا من معالجة المعوقات والاضطرابات، ويتم ذلك بطبيعة الحال في سن مبكرة وعبر برامج خاصة معدة لهذا الغرض. لهذه الاسباب تشكل التربية ما قبل المدرسية الفضاء المحوري لهذه العملية ، كما تشكل الأسرة القاعدة الأولية التي تتأسس عليها هذا التوجه الإنمائي حيث أن مقومات الصحة النفسية الأولية في الطفولة المبكرة تتم داخل النسق الأسري من خلال علاقات التقبل والتقدير، والحب والرعاية، والتفاعل والتواصل والتعلق الواثق، أو ما يجمله جيفري يونغ (Young and al 2005) من إشباع للحاجات الانفعالية الأولية للطفل ، والمتمثلة في

- الأمن المتعلق بالآخر وتشمل: الاستقرار، الأمن ، والتربية الحريصة ، والقبول؛
- الاستقلالية والكفاءة والشعور بالهوية؛
- حرية التعبير عن الحاجات والانفعالات؛
- التلقائية واللعب؛
- الحدودية والمراقبة الذاتية .

4 – التربية ما قبل المدرسية في مواجهة متطلبات العولمة وقيمها

وعليه تواجه التربية ما قبل المدرسية ومعها الأسرة كل هذه التحولات ومتطلبات و قيم العولمة الجديدة ، وهي مطالبة في المقام الاول إعداد الأطفال ليصبحوا راشدين قادرين على خوض تحديات العولمة ومتطلباتها و وتمحيص واستيعاب قيمها ومعاييرها وقواعدها وتمثل المفيد منها واستدماجه بالكيفية المثلى، حيث قد يرى هؤلاء الاطفال من هذه القيم وهذه القواعد ما تعرضه "ثقافة الصورة المغرية " التي تحاول صناعة الإدراك وتوجيهه، او ما يتناسب وحالتهم النفسية و المعرفية الفضولية وطموحاتهم وانتظاراتهم، من تمركز حول الذات، و فردانية واستقلالية مفرطة، ونرجسية وبحث عن المتعة واللذة الآنية. وعليه تعيش الاسرة وبشكل أساسي حالة من الضغط والاضطراب هي الأخرى حيث تحاول أن تحافظ على أطفالها وبارتباطهم بها واستمرارية الرعاية لهم ، وإعادة إنتاج نمط المجتمع التقليدي بما يحمله من تسلط وحماية وتبعية و ولاء، وبما يحمله كذلك من قيم محلية قيمة. ، كما تحاول في ذات الوقت أن تصدهم من مخاطر بعض القيم التي تحملها العولمة، وهنا تطرح إشكالية المعادلة الصعبة : هل تعمل الأسرة والتربية ما قيل المدرسية على غلق هذا الانفتاح المفروض ، مما قد يحرمهم من فرص تحقيق الذات في المستقبل ؟ أم تطلق لهم كل الحرية وتستسلم للأمر الواقع وتتركهم يخوضون بمفردهم واقع العولمة بإمكاناتهم المحدودة ؟

إن هذه المتطلبات التربوية لهذه المرحلة ينبغي إدخالها ضمن سجل المهام التربوي للتربية ما قبل المدرسية ، لتصبح من الاهداف الجديدة التي يتوجب عليها أن تحققها ، حيث تعمل على تحضير الأطفال لمواجهة العولمة ، و تنمية قدرتهم على ابتكار حياتهم المستقبلية في عالم متغير متسارع حيث المتطبات جد عالية.

إن دور التربية ما قبل المدرسية ومعها الأسرة في هذه المرحلة جد حساس و أكبر من إمكاناتها، إذ يطلب منها أن تجنب الأطفال التبنى العفوي البريء المطلق المرتجل المندفع لقيم العولمة برمتها دون تمحيص ونقد وانتقاء،وتمثل عقلاني، وبناء قاعدة البنية المعرفية الحداثية اللأطفال، إنها مهام أساسية ، أو بالأحرى تحديات تواجهها ، وينبغي أن تعمل أو تساهم بشكل فاعل في تحقيق هذه المهام الجديدة.

قد تعاظم دور التربية ما قبل المدرسية في السنوات القليلة الاخيرة بفعل هذه التحديات والمهام، فهي مطالبة بألا تعيد مثلما كانت وما تزال تفعله مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، انتاج البينة المعرفية اللاتطورية، والأنماط التقليدية في العلاقات والأدوار والوظائف والذهنيات ، لهذا ينبغي إعادة تعريف للأدوار

والعلاقات، وإعادة تحديد الوظائف والمهام والأهداف، وقبل ذلك إعادة النظر في السجل القيمي أو النسق القيمي من حيث غربلته من القيم ذات الصلة بالأعراف والتقاليد البالية، وتحيينه بقيم الحداثية (الانسانية، العقلانية، التطور)

وعليه ، يتوجب إذن على التربية ما قبل المدرسية ومعها الأسرة الجزائرية إحداث نوع من القطيعة مع الممارسات التربوية القديمة أو التقليدية النمطية التي تعمل على توفير الحماية للأطفال مقابل التسلطية والتبعية والولاء المطلق التي تميز المجتمع المغلق الراكد الحامي، بل يتحتم عليها أن تحضر هذه الناشئة لاقتحام عصر العولمة بالكفاءة الشخصية الكلية القصوى التي تتكون من العناصر التالية :

- الاقتدار وكفاءة المعرفية القصوى
- المناعة القيمية الانتمائية
- القدرة البدنية العالية
- الصحة النفسية

وتشكل هذه المكونات الأربعة الكفاءة الشخصية الكلية القصوى في جوانبها المعرفية ، والأخلاقية القيمية، والبدنية ، والنفسية . ويعد المكون النفسي أو الصحة النفسية محور هذه المكونات في ظل عصر العولمة .

5 - محتوى البرامج النمائية للصحة النفسية في التربية ما قبل المدرسية :

لا يمكن تطبيق كل ما حدده الأخصائيون من مكونات الصحة النفسية في هذه المرحلة المبكرة من مراحل النمو، و لهذا تم اختيار من ضمن هذه المكونات ما يتناسب مع متطلبات عصر العولمة حيث تعد هذه الجوانب أبعاد أو كفاءات ضرورية ينبغي اكتساب قواعدها الأولية في هذه مرحلة الطفولة المبكرة تضطلع بمسؤولية تحقيقها التربية ما قبل المدرسية من خلال رياض الأطفال ومدارس التحضيري بالتعاون الوثيق من الأسرة.

هذا ويتم اكساب هذه الخصائص والصفات ومكونات الصحة النفسية لدى الأطفال من خلال برامج تنمية الصحة النفسية، يشرف عليها أخصائيون في التربية وعلم النفس العيادي و المدرسي، وتتمثل هذه الخصائص فيما يلي :

أ– المرونة النفسية (التكيف النشط)

يقصد بالمرونة النفسية هي القدرة التكيفية مع مستجدات عصر العولمة خاصة في مجال التكوين والشغل، أو ما أصبح يطلق عليه في التوجيه المهني بتسمية " اللياقة التكيفية" (adaptability fitness) ذلك لأن سوق الشغل في عصر العولمة جد متقلب ويعرف تحولات سريعة حيث تبرز مهن فجأة، لتغيب أخرى، و يتغير الطلب على المهن بشكل متسارع، إذ لم يعد هناك مسار مهني واحد للفرد مثلما كان في السابق، وإنما تحتاج الآن المؤسسات إلى كفاءات ومؤهلات معينة لفترة وجيزة ، بنظام تعاقدي غير دائم، وهو الأمر الذي يدفع الأفراد إلى اكتساب كفاءات متعددة وتلقي تدريبا وتأهيلا مستمرين للتقنيات الجديدة، والتحول من وظيفة إلى أخرى عدة مرات إبان المسار المهني.إن مثل هذه الوضعية تخلف من دون شك مستويات عالية من القلق والضغوط . وحتى يتسنى للفرد مسايرة هذه التحولات السريعة، ويتكيف مع هذا الوضع غير المستقر، فهو بحاجة إلى اكتساب تلك القدرة التكيفية النشطة مع المستجدات المهنية والكثير من المرونة النفسية والمعرفية والانفتاح الذهني لكل ما هو جديد و مستجد. إنه بحاجة أيضا للعيش مع الضغوط المستمرة الناتجة عن انعدام اليقين في المسار المهني، وبالتالي الوضعية الأسرية، والتنافس الدائم للاحتفاظ بوظيفته أو بالتعاقد المهني.

ب– التلاؤومية و إدارة الضغوط

يعرف (Cyrulnik 1999) التلاؤومية بأنها القدرة على النجاح والعيش والتطور إيجابيا، بطريقة اجتماعية مقبولة، رغم وجود توتر (ضغوط) أو مواجهة التحدي الذي يتضمن بطبيعة الحال مجازفة خطيرة قد تؤدي إلى مآل سلبي (Cyrulnik in Anaut 2003). وتعني التلاؤومية بالتحديد لدى (Rutter 1944) أن الفرد قد وضع ميكانيزمات حامية تسمح له بمواجهة التحدي والأحداث الضاغطة والاحتفاظ بصحة نفسية جيدة (Rutter in Bouteyre 2004)، فالفرد الذي يتمتع بالتلاؤومية أو المرونة الذهنية يستطيع مواجهة الضواغط بالتخفيف من تأثيراتها الانفعالية السلبية، حاميا بذلك صحته النفسية، ويتجاوزها بخلق وإيجاد وضعيات ومواقف إيجابية. إن صفة التسارع التي تتسم بها العولمة يعني كذلك حالة من التسارع في حدوث الأحداث الضاغطة والصادمة بوتيرة منتظمة ن قياسا بحالة المجتمع المغلق الراكد. وهو الأمر الذي يتطلب تلاؤومية منتظمة تامة الجهوزية ، لا تتفا جئ بمثل هذه الأحداث و

وتيرتها، ذلك أن الشخصية تكون بالفعل مجهزة بآليات مرنة تتعامل مع الأحداث الضاغطة والصادمة بإيجابية ، وتستطيع تجاوزها ، مهما تعددت مصادرها وتسارعت وتيرة حدوثها. إن تدريب الطفل في سن مبكر على المرونة النفسية أو التلاؤومية يساعده تدريجيا على تجاوز الأحداث الضاغطة التي تصاحبه في مرحلتي الطفولة والمراهقة، وتكسبه تلك المناعة النفسية في سن الرشد حيث التحديات الكبرى والأحداث الضاغطة الجسام.

ج – الدافعية الذاتية

تعد الدافعية الذاتية من عوامل النجاح الأساسية، وترتبط هذه الخاصية بقدرة الفرد على تجنيد موارده الشخصية، خاصة الانفعالية ، لتحفيز ذاته حتى يتحمس للعمل ويثابر عليه. فليس كل الأفراد يتمتعون بهذه القدرة، لذلك فإن دافعيتهم للعمل والإنجاز تكون متدنية المستوى، وبالتالي تنخفض لديهم درجات فعالية الأداء والعمل.وتتضمن القدرة على تحفيز الذات أيضا، القدرة على استثارة التفكير الهادف، لوضع الخطط بتحديد الأهداف والغايات، ووسائل وإمكانيات التحقيق والتنفيذ.ولما كانت مقتضيات و متطلبات عصر العولمة تدفع نحو الإنجاز وسرعته والتنافسية ، فإن الطفل هو بحاجة إلى اكتساب هذه الكفاءة لتحفيز ذاته قصد على القيام بالعمل ومثابرة عليه، مهما كانت الظروف والإكراهات والمعوقات، ومهما كانت الحالة النفسية و الظروف المحيطة. إن الدافعية الذاتية الداخلية هي المحفز الأساسي للإنجاز المهني المبدع، ويقابلها الدافعية الخارجية التي تحث الفرد فقط على طلب المال، وتحقيق المكانة، والتقدير الاجتماعي، وإشباع الحاجات الأولية ، أو في أقصى تقدير القيام بالواجب مكرها لتبرئة الذات من المسؤولية ليس إلا، غير أن الدافعية الذاتية هي وحدها التي تنتج عملا مبدعا، وعطاء متميزا، طالما أن صاحبها يقوم بعمله ويثابر عليه ويبحث عن الإتقان والجودة بشيء من المتعة في البذل والجهد دون احساس بالتعب أو الملل.

د ـ التيسير الانفعالي الذاتي للتعلم:

تعد كفاءة التيسير الانفعالي لتعلم الأطفال من بين أهم الكفاءات الانفعالية التي يتوجب إدراجها في البرامج النمائية للصحة النفسية للطفل ، فهي تعني قدرة الطفل على استثارة الانفعالات الإيجابية التي من شأنها تسهيل عملية التربية والتعليم، واكتساب معارف واتجاهات ومهارات جديدة، وتتمثل هذه

الانفعالات الإيجابية في كل من الفرح، والسرور، والبهجة، والاهتمام والحب. فإذا كان من أهم متطلبات العولمة الاقتدار المعرفي والإبداع ، فإن اكتساب هذا الاقتدار يتطلب تجنيد كل الموارد الذاتية من الانفعالات والعمليات المعرفية والحافزية ،خاصة و أن طرق التعليم في زمن العولمة تحتاج إلى هذا النوع من التجنيد النفسي المعرفي ، ولما كانت الانفعالات الإيجابية مسهلة للتعلم في جميع أبعاده، يستحسن أن يتم تعليم الطفل كيفية استثارة هذه الانفعالات بطريقة ذاتية، وفي هذا الشأن ترى (Fredrickson 1998) أن مختلف الانفعالات الإيجابية توسع بطرق متعددة القائمة المؤقتة للأنشطة الذهنية للفرد. كما تشير إلى ارتباط الانفعالات الإيجابية بتزايد أو توسع الانتباه (Derry Berry et Tucker. 1994)، ففي حالة الانفعالات الإيجابية يتوسع مجال مركز اهتمام الأطفال، ويكون بمقدورهم أن يبدون اهتماما بأكبر عدد ممكن من مؤشرات ودلالات الوسط وعناصره.

هذا وقد دلت أعمال (Isen 1987) على أن الأشخاص الذين يوجدون في حالة انفعالية إيجابية يكونون أكثر إبداعا، بمعنى تتاح لهم فرص أكثر للمعلومات والارتباطات أو التداعيات أكثر أهمية، وأكثر عمقا في الذاكرة، ويبنون فئات أكثر وسعا Inclusives من الأشخاص في حالة انفعالية حيادية أو سلبية وأشارت دراسات (Bless et al 1996) أن الانفعالات الإيجابية المتعلقة تبعد الأفراد من التبعية الصارمة للتفاصيل المتعلقة بوضعية معينة، وترتبط هذه الانفعالات باستخدام بنيات معارف أكثر وسعا وتعميما.

وفيما يتعلق بالأطفال، فقد أظهرت دراسة (Renniger 1992) أن مختلف الأشياء التي تثير اهتمام الأطفال، تثير لديهم أيضا تنوع أكبر في أساليب اللعب بهذه الأشياء، قياسا بتلك التي لا تثير الانتباه. وكذلك تنوع أكبر للسلوكيات في كل أسلوب من أساليب اللعب. فالانفعالات الإيجابية تفضي إلى تنمية المعارف، والسعادة تدفع إلى التعلم وتسهل تحقيق إنجازات في مختلف المهام، وتستثير الذاكرة والإبداع.

وفي هذا الصدد، اقترحت (Fredrickson 1998) نموذج التوسع والبناء للدور الوظيفي للانفعالات الإيجابية (Broaden- and- Build Model) حيث حددت من خلاله هذه الانفعالات الإيجابية، وتداعياتها السلوكية ونواتجها فيما يتعلق باكتساب معارف أو قدرات جديدة حيث يفضي الفرح إلى اللعب واكتساب قدرات حركية ، ويؤدي الاهتمام إلى الاستكشاف واكتساب معارف، و يعمل السرور على

توسيع الإفكار وبالتالي إدماج وبناء معارف جديدة، مثلما يؤسس الحب لمشاعر التعلق والعطف، والعلاقات الاجتماعية.

وقد حدد كل من (Mayer et Salovey 1997) أربعة مجالات لمكونات الذكاء الانفعالي، من بينها التيسير الانفعالي للتفكير Emotional Facilitation of Thinking. كما أشار (Mayer et al 2000) أن الذكاء الانفعالي يعني "قدرة الفرد على معرفة معاني الانفعالات في تعزيز الأنشطة المعرفية".

ه – التحكم الانفعالي الذاتي

ويعني القدرة على ضبط الانفعالات و حسن إدارتها ، وهي على نقيض من التنشيط المفرط للانفعالات الذي يتميز بظهور الانفعالات بشدة، أو انطلاقها دون القدرة على ضبطها في ظروف لا تبرر وجودها، إذ أن بعض الأحداث البسيطة أو المواقف البسيطة تفضي إلى إطلاق استجابة انفعالية حادة لا يمكن للفرد أن يتحكم فيها. ويعني التحكم الانفعالي الذاتي في زمن العولمة تحديدا، ضبط الذات أمام كل الإغراءات المطروحة ، سواء في وسائل الإعلام أو غيرها، خاصة فيما يتعلق بمبدأ المتعة واللذة الآنية، والرفاهية المفرطة ، أو النزعة الاستهلاكية والتسليع والتسوق ، حيث تعمل الآلة الإعلامية والإشهارية على الترويج لمثل هذه الثقافة والقيم ، باستعمال استراتيجية نفسية تستثير من خلالها انفعالات الكبار والصغار على حد سواء، لترسيخ هذه القيم أولا، و بيع السلع والمغريات في أشكالها المتنوعة ثانيا ،وبالتالي فرض الهيمنة الثقافية المنشودة . إن ثقافة الاستهلاك تفضي للعديد من الاضطرابات النفسية ، فقد دلت دراسة (Kasser.2004) أجراها على الشباب أن الذين المنهمكون في الاستهلاك أكثر عرضة للاكتئاب والقلق والضغوطات النفسية، وأقل شعورا بالإنجاز والرضا الحياتي، والخبرات الانفعالية السارة، كما أنهم أكثر عرضة للاضطرابات السيكوسوماتية ، واضطرابات السلوك.

إن تنمية قدرة الضبط الانفعالي أمام الغزو الإعلاني الاستهلاكي وثقافتها و مغرياتها و تربية صفة تأجيل الإشباع ، واختيار من ملذات الحياة ما يخدم المشروع الوجودي وقيمه، وما يخدم الإنجاز الشخصي والاجتماعي ، هي من بين الوحدات التربوية التي ينبغي إدراجها في البرامج النمائية للصحة النفسية للطفل حتى يشب قادرا على الاختيار السليم لما يحقق أهدافه دون أن يكون ضحية لثقافة الاستهلاك، من إشهار

يروج للعنف، و النهم الغذائي، والنجومية التافهة ، إلى ممارسة الجنس ،ووسواس التسوق القهري ، بل الهوس الاستهلاكي في جميع أشكاله المشروعة وغير المشروعة.

إن تنمية قدرة التحكم الانفعالي الذاتي يرتبط كذلك بتلك القدرة على التصدي للتلاعبات و المثيرات الانفعالية والمؤثرات النفسية التي تستخدمها وسائل الإعلام المرئية عبر ثقافة الصورة ، للتأثير على الانفعالات وبالتالي لصناعة وتوجيه الوعي والأفكار والسلوك نحو قيم العولمة، إذ وفي إطار الترويج لفكرة الثقافة العالمية الواحدة يميل مهندسو عولمة القيم إلى التركيز على ما يعرف بثقافة الصورة التي أصبحت بمثابة المفتاح السحري لإنتاج وعي الإنسان في العالم. فالصورة هي المادة الثقافية التي يمكن تسويقها على أوسع نطاق جماهيري باعتبارها لا تحتاج للمصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقي، فهي تمثل لغة في حد ذاتها، فإذا كانت فعالية الكلمة مرهونة بسعة الإطلاع للمتلقي، فإن الصورة قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي تماما، مثلما أفلحت العولمة الاقتصادية في تحطيم الحواجز الإقليمية والجمركية لتصل إلى الإنسان في عقر داره، وهكذا بات من الملاحظ في عصر العولمة طغيان ثقافة الصورة على الوعي الثقافي الإنساني مع التراجع الشديد لمعدلات القراءة وانحدار ثقافة الكلمة أمام الهجمة الشرسة للإعلام السمعي البصري ، ومن هنا يتضح أن العولمة تستهدف أولا سلب الوعي من خلال تحطيم الهويات الثقافية المحلية ثم السيطرة على الإدراك بوسائل وآليات جد محكمة تمهيدا لغرس القيم التي يستهدف الداعون إلى العولمة بثها (ممدوح محمود . 2003)

إن المواجهة في هذا المجال تتم على مستوى الانفعالي بالدرجة الأولى حيث يكون الفرد قادر على ضبط انفعالاته إزاء هذه التلاعبات و مداخلها النفسية، وبطبيعة الحال تترافق هذه العملية الانفعالية بقدرة على التفكير الناقد الممحص للصورة وأبعادها وخلفياتها وأهدافها غير المعلنة.

و – حسن الحال والتفاؤل المتعلم

يعد حسن الحال(well–being) من بين مقومات الصحة النفسية ونواتجها، ويعرف على أنه التقدير المعرفي والانفعالي للحياة الشخصية بشكل إيجابي والاستجابات التي تتسم بالرضا والإنجاز اتجاه قضايا الحياة(Diner et Lucas. 2002)

وهي الخاصية التي تساهم في تنمية الصحة النفسية في جميع أبعادها ليحقق الفرد السعادة والأمن النفسي والرضا بالحياة ، ويشكل ذلك أعلى مراتب الصحة النفسية، وهو ما يسمح للفرد أن يكون على أتم استعداد لمواجهة متطلبات العولمة والتعامل معها بنجاح. و يتضمن حسن الحال مكون أساسيا كامنا يحقق ذلك التقدير الإيجابي للذات وللحياة، والرضا عنهما، ويتعلق الأمر بالتفاؤل الذي يعد مصدر التفكير الإيجابي ، وهو أسلوب إيجابي في التعامل مع متطلبات العولمة والحياة و أحداثها، ويفضي التفاؤل إلى الحفاظ على الأمل والابتعاد عن التشاؤوم، ورؤية الإمكانات والقدرات والفرص، والبدائل المتعددة. إن التفاؤل هو من العوامل المحركة لدافعية الإنجاز والتنافسية والمثابرة في تحقيق الاهداف مهما كانت المعوقات والصعوبات، خاصة في ظل تقلبات عصر العولمة وانعدام اليقين في المسار التكويني والمهني ، وسيادة مبدأ التنافس الشريفة وغير الشريفة. من جهة أخرى التفاؤل لا يعني ذلك التفاؤل اللاواقعي المؤسس على أحلام اليقظة، بل يؤدي التفاؤل الحقيقي إلى الابتعاد عن محاولة تحقيق الأهداف والمشاريع اللاواقعية التي تفوق امكانات الفرد وقدراته والشروط الموضوعية. لهذا يتوجب تعليم الأطفال في هذه السن المبكرة التفاؤل الحقيقي الموضوعي من خلال التدريب، أو ما اصطلح على تسميته بالتفاؤل المتعلم (learned optimism) (Seligman.1998)

ز – الذكاء الانفعالي الكوني

لا تتطلب العولمة الأداء المعرفي الأقصى ، أو الذكاء المعرفي المجرد، و لا الذكاء الإنفعالي المحلي الضيق –إن صح التعبير– فحسب ،بل تتطلب ذكاء انفعاليا كونيا يستوعب كل الأفراد والجماعات بتنوع ثقافاتهم و جنسياتهم و عرقياتهم ولغاتهم و أديانهم. وإّذا أخذنا بتعريف للذكاء الانفعالي لدى روبينز (Robins, 2001) الذي يشير إلى معرفة الفرد لعواطفه الخاصة، وقدرته على قراءة الآخرين، كما يشير إلى مجموعة من القدرات والكفاءات والمهارات غير المعرفية التي تؤثّر في قدرة الفرد على النجاح في التكيف مع متطلبات البيئة وضغوطها. فإن مثل هذا التعريف في عصر العولمة وانفجار الانفتاح الكوني، يعني بالإضافة إلى معرفة الفرد لانفعالاته الخاصة،و إدراك كذلك انفعالات ومشاعر وأفكار الآخرين. والآخرون في عصر العولمة هم مزيج من الأعراق والثقافات والديانات والمجتمعات بحكم المرتطبية المعقدة والتقارب المكاني والزماني التي تفرضها الكونية الجديدة، وليس فقط إدراك و قراءة الأفراد المحيطين به، حيث يمكن التعرف على انفعالاتهم

و أفكارهم واستجاباتهم من خلال الانفعالات و الافكار والاستجابات الذاتية ، طالما أنهم تربوا في نفس السياق الاجتماعي الثقافي، وفي ذات البوتقة. والتكيف مع متطلبات البيئة وضغوطها في عصر العولمة، لا تعني البيئة المحلية السابقة المحمية، وإنما الضغوط البيئة العالمية. إذن نحن أمام ذكاء انفعالي لا يتحكم فقط في البيئة المحلية الضيقة، وإنما يتعدى ليستوعب كل البشر أينما وجد في القرية العالمية، وكل ضغوط ومتطلبات العولمة. وهذا ما يعني معرفة الآخر وقبول بالاختلاف في إطار ما يسمى بتعارف الثقافات والحضارات، وليس في ما يسمى بصدام الحضارات، إنه جهد معرفي ونفسي إضافي يتعامل بكفاءة عالية مع التعدد الثقافي والفكري للقرية العاليمة، لذا ينبغي تدريب الأطفال على النوع من الذكاء الذي يمكنهم غدا من العيش والتفاعل الإيجابي مع عالم متعدد الثقافات والأجناس . وقد يستدعي هذا التدريب الإطلاع على الخصوصيات الثقافية والفكرية والمعرفية والانفعالية واللغوية للأحزمة الثقافية الكبرى على الأقل. أو ما يسمى بالشخصيات القاعدة للمكونات البشرية لهذه الأحزمة الثقافية واكتساب اللغات. وينبغي للتربية ماقبل المدرسية أ ن تنتشل الطفل الجزائري من قوقعته بكونه ابتداء " ابن حيه " لتدفعه إلى أن يصبح في سن الرشد إلى ما يسمى "بالمواطن الكوزموبوليتاني" الذي يتعامل ويتفاعل مع جميع أجناس العالم بنوع من الإرتباط المدني أو علاقة ذكية بين أنداد متساوين، تحترم استقلالية الآخر على حد رأي أوكشوت (Oakesshott.1991) حيث يستطيع الفرد الجزائري أن يعيش ويتفاعل و يؤثر في المجتمع الكوني ، وأن يكون في مقدوره أن يفهم الآخرين و ينخرط في علاقة ذكية من الحوار والتعرف المثمر المحقق للمصالح المشتركة، وبالتالي أن يحيا بانسجام على كل من الصعيدين الكوني والمحلي في الوقت ذاته

خلاصة

هذه بعض من الابعاد النفسية التي ينبغي إدراجها في برامج تنمية الصحة النفسية لدى الأطفال في التربية ما قبل المدرسية ، لهذا يتوجب إدخال تعديلات على أهداف التربية لمواجهة هذه المستجدات ، بحيث سيكون من أولوياتها تنمية الصحة النفسية لدى الناشئة ، وذلك منذ سن مبكرة، بدء بالتربية ما قبل المدرسية التي يتوجب عليها، بحكم الواقع العالمي تكييف وتعديل مناهجها وبرامجها بما يكسب الطفل الجزائري القاعدة النفسية الصلبة أو ما يمكن تسميته – إن جاز التعبير – بالتعلمات النفسية الأولية التي يتلقاها خلال هذه الفترة النمائية والتربوية الحساسة للوصول إلى حالة الكفاءة الشخصية التامة في مرحلة الرشد. كما يمكن تطوير برامج وقائية ضد ما تطرحه العولمة من تحديات نفسية و ما تفرزه من آفات .ويتعلق الأمر بكل من الاحتراق النفسي، والإدمان على أجهزة تكنولوجيات الاتصال والمعلومات والألعاب الإلكترونية، مثلما تشمل هذه البرامج الوقاية من نشوء بعض اضطرابات الشخصية ذات الانجراحية العالية لمتطلبات العولمة، تحديدا اضطراب الشخصية التابعة ، والوسواسية القهرية، والنرجيسية.

المراجع:

- بلقزيز ، عبد الإله (1998) : العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربي، العدد 229. مارس 1998، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

- توملينسون ، جون (2008) : العولمة والثقافة ، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد. سلسلة عالم المعرفة ، رقم 354. المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت.

- حجازي ، مصطفى (2004) : الصحة النفسية ، منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة. المركز الثقافي العربي ، بيروت.

- الجابري، محمد عابد (1998) : العولمة و الهوية والثقافة ، عشر أطروحات، المستقبل العربي العدد228. 2 ، بيروت .

- الميلاد ، زكي (1999) : المسألة الحضارية ، كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير. المركز الثقافي العربي، بيروت.

- ممدوح محمود منصور (2003) : العولمة ، دار الجامعة للنشر ، الاسكندارية.

- Anaut ; M (2003): Résilience, surmonter les traumatismes, Paris. Nathan

Beaud M (2OOO) : le basculement du monde, de la terre; des hommes; et du capitalisme. Paris , la découverte.

- Bouteyre . E (2004) : Réussite et Résilience scolaire, chez l'enfant de migrant. Paris .Dunod.
- Bless.H, Schwartz N; Wieland R (1996) : Mood and the impact of category member-chip and indivuating information. European journal of social psychology. 26; 935-959.

Deiner E,D . Lucas R; Oishi S (2002) : Subjective well-being, in – Handbook of positive psychology, newyork: Oxford University press.

- Derryberry,D, Tuker D M (1994) : Motivating the focus of attention. In niedenthal P. kitayama S (eds) the heart's eye: emotional influence in perception and attention .PP 167-196. San Diego. Ca. academic press.

- Enriquez, E (2008) : Nouvelles modalités du fonctionnement psychique et transformations de la dynamique sociale, Pratiques Psychologiques, 14; 5-15.
- - Fredrickson B.L, Levenson R.W (1998) : Positive emotion speed recovery from the cardiovascular sequelar of negative emotions. Cognitions and emotion. 12. 191-220

- Gray J (1995) : The cyborg handbook. London; routlege

- Herman E S , R, W McChesney (1997) : the Global media. London .

- - Isen A.M (1987) : Positive affect, cognitive processes, and social behavior,in L. Berkowitz (ed). Advances in experimental social psychology (vol 20. PP 203-253). New York. Academic Press.

Kasser T (2004) : The good life or the googs life, broadly and -

Narrowly considered. In positive psychology in practice
Newjersy: john wiley and sons

- Lazartigues , A (2001) : La famille contemporaine fait –elle de nouveaux enfants ? Neuropsychiatrie enfance et adolescence, 49 . 264-276.

- Mayer;J.D . Salovey P (1997) : What this emotional intelligence " in salovey P and sluyter D.J (eds) emotional development and emotional intelligence : education implications, newyork: basic book;PP 3-34.

- Mayer;J.D , Salovey P; Caruso D;R (2000a) : Emotional intelligence as personality; and as mental ability" in R .Bar-on; JDA Parker (eds) the handbook of emotional intelligence; san Francisco: jossey – bass. A wiley company; PP 92-117.

- McGrew ,a (1992) :a global society ? in s. hull. D, held and A , Mc Grew (eds), modernity and its futures, Cambridge polity press.

- Oakeshott m (1991) : On human conduct. Oxford. clarendon press

- Renninger, K A, Haidi S. Knapp A (1992) : The role of interest in learning and development ; hillsdale,N J, Lawrence Erlbaum association, inc.

- Robertson r (1995) : Globalization : social theory and global culture, london; sage.

- Schoepfer A , Piquero N L (2006) : exploring white collar crime and the American dream. A partiel test of institutionnel anomie theory. Journal of criminal justice. 34 (3) 227- 235.

- Suchocka, A; Kovess-Masefty V (2006) : Promotion et prevention en santé mentale chez les très jeunes enfants : revue de littérature; annales médico psychologiques. 164. 183-194.

- Waters m (1995) : Globalization. London; routlege.